نماذج من رحمة النبي (صلي الله عليه وسلم) بالمخالفين

إعداد

الدكتور/ إسماعيل طاهر محمد عزام

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، المبعوث رحمة للعالمين، الرحمة المهداة، والسراج المنير، أرسله الله تعالى ليخرج البشرية من وحول الشهوات إلى نور اليقين، وأما بعد :

فقد اخترنا نماذج من رحمة النبي (صلي الله عليه وسلم) بالمخالفين؛ ويراد بمفهوم المخالفين في بحثنا هذا، كل من خالف شرع الله، وحكمه فهو خائن لله ولرسوله (صلي الله عليه وسلم)، خارج على العدل، الذي نزل هذا الشرع لإقامته بين الناس. ولما كانت مخالفة الحكم بشرع الله تفضي إلى الظلم والجور واختلال موازين الحق، استحق المخالفون الوصف بالكفر والظلم والفسق. قال تعالى: {ومَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ} [المائدة: ٤٤] {ومَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة: ٤٥] {ومَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ} [المائدة:٤٧]. والمخالفون لشرع الله وحكمه هم الفرق الباطنية من أهل النفاق والكفر، والمنافقون المستغربون الذين فتنوا بما عليه الغرب الكافر في علومه، وحضارته، وثقافته. ولاعتبارات منهجية تناولنا رحمة النبي (صلي الله عليه وسلم) ببعض المخالفين، وهم. أ . أهل الكتاب. ب. الكفار. ج. المنافقون.

المقدمة

المتأمل في واقع الأمة العربية والإسلامية، يجد أنها تعاني جملة من الاضطرابات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية؛ نتيجة غياب قيم التسامح والفضيلة الخلقية. ورغبة منا في استجلاء حقيقة هذا الواقع المرير، وكشف ملابساته، ارتأينا أن ننجز مقاربة علمية نقف من خلالها على الأسباب الموضوعية لغياب الرحمة بين الأفراد، والمجتمعات المعاصرة. ومن هذا المنطلق تم تصميم البناء الهندسي للبحث في الخطوات العلمية والمنهجية الآتية:

أسباب اختيار الموضوع: ذاتية وعلمية

الذاتية:

تعلق الباحث بمحبة النبي (صلي الله عليه وسلم)، ورغبته الصادقة في الاقتداء بسنته.

العلمية:

أ. الرد المفحم على شبهات المستشرقين، واستجلاء حقيقة صورة النبي (صلي الله عليه وسلم) المشرقة المضيئة.

ب. تبيان معالم صورته الذكية في رحاب تجسيد رحمته (صلي الله عليه وسلم). بالمخالفين، الذين أساؤوا إلى مقامه الشريف من خلال الرسومات المخزية إلى شخصه الكريم (صلي الله عليه وسلم) .

إشكالية البحث:

يأتي هذا البحث ليجيب عن الأسئلة الآتية:

أ. ما هي دواعي السلوك الخاطئ المغلوط لمعنى الرحمة في الإسلام، وتطبيقاته المنحرفة في الواقع؟.

ب. ما موقف الإسلام من الهجمة الإعلامية الشرسة الهادفة إلى تشويه صورته الناصعة؟.

ج. ما هي نظرة الإسلام للموافقين في العقيدة ممن ينسبون أنفسهم للنبي (صلي الله عليه وسلم) من غلاة المسلمين – ويسيئون إليه من خلال فهمهم الخاطئ للكتاب والسنة.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث ليحقق الأهداف الآتية:

أ. بيان موقف الإسلام من صفة الرحمة.

ب. توضيح الصورة المشرقة للإسلام من خلال صفة الرحمة، التي يتصف بها النبي (صلي الله عليه وسلم) في العباد.

ت. إظهار عظيم رحمة النبي (صلي الله عليه وسلم) التي لم تقتصر على البشر؛ بل تعدت إلى غيرهم من المخلوقات.

ث. بيان أثر الرحمة في استقامة السلوك الإنساني.

ج. إظهار أن السلوك الخاطئ من قبل الغلاة، والمتمثل في القسوة والشدة في غير موضعهما؛ إنما هو فهم خاطئ لنصوص الشريعة السمحة، ولا يمت إلى الإسلام بصلة.

ح. الرد على الهجمة الشرسة من قبل وسائل الإعلام، التي تعمل جاهدة على تشويه صورة الإسلام، وإظهاره بأنه دين الغلو والتطرف؛ مستغلين بعض الأعمال الفردية من قبل بعض الفرق الإسلامية المتطرفة الضالة.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج التاريخي القائم على رصد الأحداث، وتحليلها، ومناقشتها، وتفسيرها، وسأطبق ذلك على سيرة النبي (صلي الله عليه وسلم) رصداً وتحليلاً ومناقشة، وذلك باتباع الخطوات الآتية:

أ. استخراج الآيات القرآنية ذات العلاقة المباشرة في صفة الرحمة موضوع البحث، وبيان معناها بشكل مختصر من خلال بعض كتب التفسير.

ب. ذكر بعض ما صح من الاحاديث النبوية الشريفة التي تحض على الرحمة، وتخريجها وعزوها إلى مصادرها الاصلية، فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما اقتصرت عليه؛ وإلا فقد خرجتها من باقي الكتب الأربعة الأصول؛ وإذا لم يكن فيها أو في أحدها انتقلت إلى غيرها مما صح عنه (صلي الله عليه وسلم).

ت. استعراض بعض مواقفه وقصصه (صلي الله عليه وسلم)، التي تجلت فيها صفة الرحمة، وتحليلها، ورصد الدروس، والعبر المستقاة منها .

خطة البحث:

المبحث الأول: رحمته بأهل الكتاب: ويتضمن المحاور الآتية:

المطلب الأول: تجنب ظلم أهل الكتاب، واحتقارهم وكراهية تكليفهم بالأعمال الشاقة.

المطلب الثاني: حسن معاملة النبي (صلي الله عليه وسلم) لأهل الكتاب.

المطلب الثالث: دعوة أهل الكتاب للدين مقدم على قتالهم.

المطلب الرابع: تسامحه مع أهل الكتاب في قضايا شخصية.

المبحث الثاني: رحمته بالكفار: ويتضمن المحاور الآتية:

المطلب الأول: تلطفه في الدعاء للكفار

المطلب الثاني: حرمة قتل الكافر الآمن على دمه.

المطلب الثالث: وجوب صلة الأرحام ودعوتهم.

المطلب الرابع: تعامله (صلي الله عليه وسلم) مالياً مع الكفار.

المبحث الثالث: رحمته بالمنافقين: ويتضمن المحاور الآتية:

المطلب الأول: حكمته (صلي الله عليه وسلم) في التعامل مع المنافقين، وحنكته في تجفيف فتنهم.

المطلب الثاني: دعوته للمنافقين، واستغفاره لهم.

المبحث الرابع: رحمته بالأسرى: ويتضمن المحاور الآتية:

المطلب الأول: عتق النبي (صلي الله عليه وسلم) للأسرى.

المطلب الثاني: حسن معاملة النبي (صلي الله عليه وسلم) للأسرى.

المطلب الثالث: نهي النبي (صلي الله عليه وسلم) أصحابه عن التمثيل بالأسرى.

الخاتمة والتوصيات:

المبحث الأول

رحمته (صلي الله عليه وسلم) بأهل الكتاب

للتطبيق الحضاري لسماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين صور مشرفة كثيرة، منها: عدم إكراههم على ترك دينهم، فيتركون وما يدينون، ولا يكرهون على الدخول في الإسلام بعد دعوتهم إليه بالحكمة والرحمة؛ ومنها: عدم إيذائهم، فلا يجوز لأحد من الناس أن يؤذيهم أو يضيق عليهم، والإحسان إليهم والبر بهم، حيث ينعم غير المسلمين من أهل هذه البلاد بحسن الجوار، وشتى صور الإحسان والتسامح في المعاملة. ففي المدينة المنورة حيث تأسس المجتمع الإسلامي الأول، وعاش في كنفه اليهود بعهد مع المسلمين، فقد كان (صلي الله عليه وسلم) غاية في الحلم معهم، والسماحة في معاملتهم حتى نقضوا العهد، وخانوا رسول الله (صلي الله عليه وسلم). أما من يعيشون بين المسلمين يحترمون قيمهم ومجتمعهم فلهم الضمان النبوي. فقد ضمن (صلي الله عليه وسلم) لمن عاش بين ظهراني المسلمين بعهد، وبقي على عهده أن يحظى بمحاجة النبي (صلي الله عليه وسلم) لمن ظلمه. والأحاديث الواردة في موضوع رحمته (صلي الله عليه وسلم) بأهل الكتاب كثيرة ومتنوعة، والمقام لا يسمح للبسط فيها؛ ولكن قبل الوقوف على أبرزها لا بد من النظر في كتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي. ولا شك أن قراءة أول وثيقة سياسية صدرت عن النبي (صلي الله عليه وسلم)، في بداية هجرته من مكة إلى المدينة تنص على معاهدة أبرمها النبي (صلي الله عليه وسلم) بين المسلمين و يهود المدينة. فكانت البنود في مجملها وفق التقاط الآتية [1]:

١. إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ – أي يهلك – إلا نفسه وأهل بيته.

(١) انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، السيرة النبوية، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد؛ دار الجيل – بيروت، ج ٣، ص ٣٤، والصلابي، علي محمد الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار المعرفة، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨ م، ج٥، ص ٦٠.

٢. وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.

٣. وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.

٤. وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.

٥. وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف.

٦. وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.

٧. وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

٨. وأن ليهود بني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وأن البر دون الإثم.

٩. وأن بطانة يهود كأنفسهم.

١٠. وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة. وأن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم.

١١. وأن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة.

والناظر في بنود هذه الوثيقة لا يجد سوى المساواة بين طرفي المعاهدة، فمن ساواك بنفسه، لا يكون إلا رحيماً. ومن خلال قراءةٍ واعيةٍ موضوعيةٍ لبنودها. يمكن استخلاص الملاحظات الآتية:

١. المساواة بين مختلف القبائل اليهودية والمسلمين؛ مع اعتناق كل طرف بدينه وعقيدته.

٢. المساواة بين الشرائع الاجتماعية كلها، دون تمييز طبقتي؛ شريطة عدم الطغيان؛ فإنه مهلك لصاحبه، وأهل عشيرته.

٣. المساواة في النفقة

٤. البر والنصح مقدمان على الإثم.

وقد عقد (صلي الله عليه وسلم) معاهدةً أخرى مع وفد نصارى نجران من أهل اليمن، جاء فيها:

"بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما كتب محمد النبي رسول الله لأهل نجران.

ولنجران وحاشيتها، جوار الله، وذمة محمد النبي رسول الله، على أموالهم، وأنفسهم، وملتهم وغائبهم، وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، وليس عليهم ربية –أي ربا–ولا دم جاهلية، ولا يحشرون –أي إلى الجندية – ولا يعشرون – أي لا يؤخذ منهم عشر أموالهم – ولا يطأ أرضهم جيش. ومن سأل حقاً منهم فبينهم النصف –أي العدل– غير ظالمين ولا مظلومين"(١).

يظهر جلياً من خلال هذه المعاهدة أنها تؤسس لدستور أخلاقي، وإنساني، وعالمي، يمكن حصر مواده وبنوده في النقاط الآتية:

١. مجاورة المسلمين لأهل نجران.

٢. المحافظة على أموالهم، وأنفسهم على مختلف شرائحهم الاجتماعية.

---

(١) انظر، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، دلائل النبوة، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ج٥، ص ٤٨٥، والشامي، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (صلي الله عليه وسلم)، تحقيق، مصطفى عبد الواحد – وآخرون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، جمهورية مصر العربية، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م، ج ٦، ص ٤٢٠.

٣. حماية رهبانهم وكهنتهم وعدم المساس بأمنهم.

٤. عدم الأخذ بالثأر منهم كعادة الجاهليين.

٥. إعفاؤهم من الضريبة.

٦. توفير الآمن والسلامة لهم.

٧. معاملتهم بالعدل والإنصاف.

المطلب الاول

تجنب ظلم أهل الكتاب واحتقارهم وكراهية تكليفهم بالأعمال الشاقة

حرم الإسلام إيذاء أهل الذمة، والتعدي عليهم بغير حق؛ فقد كان (صلي الله عليه وسلم) يوصى كثيراً بأهل الذمة، والمستأمنين، وسائر المعاهدين، ويدعو إلى مراعاة حقوقهم، وإنصافهم والإحسان إليهم، وينهى عن إيذائهم.

فقال (صلي الله عليه وسلم): ((ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة))[١]. بل إنه شدد الوعيد على من هتك حرمة دمائهم فقال (صلي الله عليه وسلم): ((من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً)).[٢]

(١) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي – بيروت، كتاب، الخراج والفيء والإمارة، باب، الذمي يسلم في بعض السنة، أعليه جزية؟، حديث رقم: ٣٠٥٤، ج ٣، ص، ١٣٦ عن صفوان بن سليم، قال الألباني رحمه الله حديث صحيح.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وسننه وأيامه، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة، الأولى ١٤٢٢هـ، كتاب الجهاد، باب، إثم من قتل معاهداً من غير جرم؛ حديث رقم: ٣١٦٦. عن ج ٤، ص ٩٩، عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وظاهر من الحديثين الشريفين احترام المعاهد وعدم ازدرائه، واحتقاره، وتكليفه ما لا يطيق؛ مراعاة لحرمته وقداسته وأدميته. فقاتل المعاهد خصيمه النبي (صلي الله عليه وسلم) يوم القيامة. وروي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): ((المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعي بذمتهم أدانهم ويجبر عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم يرد مشدهم على مضعفهم، ومتسريهم على قاعدهم لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده))[١].

فالمساواة بين المسلمين في الدماء، والأعراض من مقاصد الهدي النبوي، ولا يجوز قتل المؤمن بالكافر.

وتتجلي قمة الرحمة معهم بما أورده العرياض بن سارية قال: ((قام رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: أيحسب أحدكم متكئا على أريكته، يظن أن الله لم يحرم شيئاً إلا ما في هذا القرآن ألا وإني والله قد أمرت ووعظت ونهيت عن أشياء إنها لمثل القرآن أو أكثر، وإن الله لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن، ولا ضرب نسائهم، ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذي عليهم))[٢]. فالناظر في أحاديث النبي (صلي الله عليه وسلم) يرى أن الأمر بالعدل وعدم الظلم كان بين الناس جميعاً، دون النظر إلى ذواتهم أو أجناسهم أو دينهم أو حسبهم؛ فالكل سواسية، حتى لو كان صاحب الحق ظالما للمسلمين، فلابد من إعطائه حقه. بل إن من عالمية الرحمة المحمدية احترام قداسة بيوت أهل الكتاب وحرمتها؛ وعدم أكل ثمار أهلها إلا عن طيب خاطر.

---

(١) أبو داود، كتاب، الجهاد، باب، في السرية ترد على أهل العسكر، حديث رقم: ٢٧٥٣ ، ج٣، ص ٣٤، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال الألباني رحمه الله حسن صحيح.

(٢) أبو داود، كتاب، الخراج والامار والفيء، باب، تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، حديث رقم: ٣٠٥٢، ج٣، ص١٣٥،، عن العرباض بن سارية رضي الله عنها،، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط، صحيح لغيره، وهذا اسناد حسن من أجل حكيم بن عمير، وأشعث بن شعبة، فهما صدوقان حسنا الحديث.

المطلب الثاني

حسن معاملة النبي (صلي الله عليه وسلم) لأهل الكتاب.

لقد جسد النبي (صلي الله عليه وسلم) في نفوس الصحابة الكرام أصلاً عظيماً وغاية نبيلة في المعاملة الحسنة مع كل الخلق؛ فقال (صلي الله عليه وسلم): ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[١].

فها هو (صلي الله عليه وسلم) يعود خادمه اليهودي؛ فقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: ((أنه كان غلام يهودي يخدم النبي (صلي الله عليه وسلم)، فمرض فأتاه النبي (صلي الله عليه وسلم) يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده: فقال له أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي (صلي الله عليه وسلم) وهو يقول: الحمد لله الذى أنقذه من النار))[٢].

ومن أسمى مظاهر رحمته النبيلة أنه كان يزور المرضى من اليهود ويتفقدهم، وكان لهذه الزيارة والملاطفة عميق الأثر في إسلامهم.

---

(١) أحمد، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق. شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة، الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، حديث رقم، ٨٩٥٢ وج١٤، ص ٥١٣، عن ابي هريرة رضي الله عنه، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط، صحيح وهذا اسناد قوي ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان، فقد روى له مسلم متابعة وهو قوي الحديث، والبيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة، الأولى ١٣٤٤هـ، كتاب، من تجوز شهادته ومن لا تجوز من الأحرار البالغين العاقلين المسلمين، باب، مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلقاً بها كان من أهل المروءة، التي هي شرط في قبول الشهادة، حديث رقم: ٢١٣٠١، ج ١٠، ص ١٩١، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) البخاري، كتاب، الجنائز، باب، إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبى الاسلام، حديث رقم: ٦٢٠٣، ج٨، ص٤٥.

وقد كان (صلي الله عليه وسلم) يعاملهم في البيع، والشراء، والأخذ، والعطاء . فعن عائشة رضي الله عنها قالت:)) توفي النبي (صلي الله عليه وسلم) ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير))[١].

وورد أن النبي (صلي الله عليه وسلم) استسقى فسقاه يهودي، فقال له (صلي الله عليه وسلم). ((جملك الله، فما رؤي الشيب في وجهه حتى مات))[٢].

فطلب السقيا من يهودي ليس حاجزاً في المعاملة الإنسانية، بل إن النبي (صلي الله عليه وسلم) أثنى على اليهودي، وشكر له حسن صنيعه.

ولعل من أجل علامات رحمته الواسعة أنه (صلي الله عليه وسلم) يقبل هدايا أهل الكتاب؛ فقبل هدية زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم في خيبر، حيث أهدت له شاة مشوية قد وضعت فيها السم؛ بل وعفا عنها [٣].

ولما قدم وفد نجران – وهم من النصارى – على النبي (صلي الله عليه وسلم) بالمدينة، دخلوا عليه مسجده بعد صلاة العصر، وقد حانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده

---

(١) البخاري، كتاب، الجهاد، باب ما قيل في درع النبي (صلي الله عليه وسلم) والقميص في الحرب، حديث رقم: ٢٩١٤، ج٤، ص٤١.

(٢) الشامي، ج١٠، ص٢٠٨.

(٣) انظر الحديث عند أبي داود، كتاب، الديات، باب، فيمن سقا رجلاً سماً، أو أطعمه فمات، أيقاد منه، حديث رقم: ٤٥١٢، ج ٤، ص ٢٩٤،، عن جابر بن عبدالله: ((أن يهودية من أهل خيبر، سمت شاة مصلية – مشوية – أهدتها لرسول الله (صلي الله عليه وسلم)، فأخذ الذراع فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم). ارفعوا أيديكم. وأرسل إلى اليهودية فدعاها فقال: سممت هذه الشاة؟ فقالت: من أخبرك؟ قال: أخبرتني هذه في يدي للذراع، قالت: نعم. قال: فما أردت إلى ذلك؟ قالت: قلت إن كان نبياً فلن يضره، وإن لم يكن استرحنا منه. فعفا عنها رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ولم يعاقبها))، قال الألباني رحمه الله: حديث ضعيف، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط، حديث جابر ليس بذاك المتصل لأن الزهري لم يسمع من جابر شيئاً. ثم إنه ليس من هذا الحديث أكر من أن اليهودية أهدتها لرسول الله (صلي الله عليه وسلم)، فصارت ملكاً له، وصار أصحابه أضيافاً له، ولم تكن هي قدمتها إليهم وإليه، فالقود ساقط لما قدمنا من علة المباشرة وتقديمها على السبب.

(صلي الله عليه وسلم)، فأراد الناس منعهم، فقال محمد (صلي الله عليه وسلم): (دعوهم)، فصلوا إلى المشرق [١].

وقد علمنا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن الجميع متساوون في الحقوق الإنسانية البشرية؛ مصداقاً لقوله تعالى: {ولَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ والْبَحْرِ ورَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} [الإسراء: ٧٠] . أما التمايز فهو من عند الله عز وجل التقوى والإيمان وحسن المعشر والأخلاق، قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات:١٣]، ولقد حرص النبي (صلي الله عليه وسلم) على تجسيد هذه المعاني من خلال وقوفه لجنازة مرت من أمامه، فقال الصحابة رضي الله عنهم: إنها جنازة يهودي، فقال الرحمة المهداة (صلي الله عليه وسلم): ((أليست نفسا))[٢]. إن قراءة إنسانية لهذا الحديث تقوم دليلاً حياً على مراعاة حرمة الميت واكرامه فلم يجد المصطفى (صلي الله عليه وسلم) حرجاً في الوقوف لجنازة يهودي من منطلقات إنسانية، دون تميز لجنس الميت وعرقه وفصله. تلك هي الصور الحقيقية لسماحته (صلي الله عليه وسلم) مع غير المسلمين من أهل الذمة. حيث عاملهم معاملةً راقية، تشهد على صفاء سريرته، ونقاء معدنه، إذ تعددت صور رحمته (صلي الله عليه وسلم) في مجالات شتى.

(١) انظر، ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص١١٤.

(٢) انظر الحديث عند البخاري، كتاب، الجنائز، باب، القيام للجنازة، حديث رقم: ٩٦١، ج٢، ص ٦٦١، عن عمرو بن مرة عن ابن أبي ليلى: أن قيس بن سعد وسهل بن حنيف كانا بالقادسية، فمرت بهما جنازة فقاما فقيل لهما إنهما من الأرض فقالا: إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مرت به جنازة فقام، فقيل: إنه يهودي، فقال: أليست نفساً.

المطلب الثالث

دعوة أهل الكتاب للدين مقدم على قتالهم

تتجلى رحمته (صلي الله عليه وسلم) مع أهل الكتاب حتى في حالة الحرب؛ فعن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: ((غزوت مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) خيبر، فأتت اليهود، فشكوا أن الناس قد أسرعوا إلى حظائرهم فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ألا لا تحل أموال المعاهدين إلا بحقها))[1]. فقد نهى النبي (صلي الله عليه وسلم) عن أخذ أموال المعاهدين؛ صوناً وصيانةً لها، فأموال اليهود ليست ملكا مشاعاً ولو في الحرب؛ وهذا يدلل على أن أموال أهل الكتاب لها حرمتها وشرفها. وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه سمع النبي (صلي الله عليه وسلم) يقول يوم خيبر: ((لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه. فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى، فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى، فقال: أين علي. فقيل: يشتكي عينيه، فأمر فدعي له، فبصق في عينيه، فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فو الله لأن يهدي بك رجل واحد خير لك من حمر النعم))[2].

---

(١) أحمد، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق، شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة، الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، حديث رقم: ١٦٨١٦، ج ٢٨، ص١٦، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف لاضطرابه، لكن له شاهد من حديث المقدام بن معد كرب برقم (١٧١٧٤) قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): ألا إني أتيت الكتاب ومثله معه ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه لا يوشك رجل ينثني شبعاناً على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من خلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذيب ناب من السباع ألا ولا لقطة من مال معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروهم فإن لم يقروهم فلهم أن يعقبوهم بمثل قراهم.

(٢) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب، دعاء النبي (صلي الله عليه وسلم) الناس إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، حديث رقم: ٢٩٤٢،ج٤، ص٤٧.

فقد دل هذا الحديث على أن الدعوة الحكيمة أزكى من المسارعة لقاتل أهل الكتاب، فاللطف والملاينة في رحمتهم أنسب من قتالهم، لتعلق الدعوة الرشيدة باستدراجهم وإقناعهم.

المطلب الرابع

تسامحه (صلى الله عليه وسلم) مع أهل الكتاب في قضايا شخصية

لم يكن تسامح النبي (صلي الله عليه وسلم) مع أهل الأديان الأخرى على المستوى العام فقط: بل كان على المستوى الشخصي أيضاً. فقد روى الصحابي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ((أن يهودية من أهل خيبر، سمت شاة مصلية – مشوية – أهدتها لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأخذ الذراع فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): ارفعوا أيديكم. وأرسل إلى اليهودية فدعاها فقال: سممت هذه الشاة؟ فقالت: من أخبرك؟ قال: أخبرتني هذه في يدي للذراع قالت: نعم. قال: فما أردت إلى ذلك؟ قالت: قلت إن كان نبياً فلن يضره، وإن لم يكن استرحنا منه. فعفا عنها رسول الله ولم يعاقبها))[1].

لقد تسامى النبي (صلي الله عليه وسلم) برحمته الواسعة إلى فضاء المطلق فأنكر ذاته، ولم ينتقم لنفسه، على الرغم من فظاعة جرم اليهودية التي حاولت تسميمه إذ تجاوز أفقه الشخصي إلى رحاب عالمية الإسلام وإنسانيته.

(١) سبق تخريجه.

البحث الثاني

رحمته بالكفار

المطلب الأول

تلطفه (صلى الله عليه وسلم) في الدعاء للكفار

برغم أذى الكفار له (صلي الله عليه وسلم) إلا أنه كان حريصاً على التلطف في الدعاء لهم لا عليهم، وهذا مصداقاً لقوله جل وعلا :

{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ} [النحل:١٢٥]. وتتضح شفقة النبي (صلي الله عليه وسلم) على قومه، ومزيد صبره وحلمه بهم، كيف لا والله عز وجل يقول واصفاً إياه: {ومَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧] .

تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي (صلي الله عليه وسلم): ((هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد. فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي (صلي الله عليه وسلم): بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً))[1].

(١) البخاري، كتاب بدأ الخلق، باب، إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت أحدهم الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، حديث رقم: ٣٢٣١، ج٤، ص ١١٥.

ومما يشهد على صفاء رحمته (صلي الله عليه وسلم)، ونقائها أنه انفرد بالدعاء لقومه بالصلاح والهداية، ولم يدع عليهم بالهلاك، وهو خلق نبوي قد انفرد به المصطفى (صلي الله عليه وسلم)؛ رغبه في صلاح أحوالهم واستقامتهم. والأصل في الدعوة الإسلامية أنها قائمة على التعايش، والتفاهم، والتعاون بين الأمم؛ بل إنها قائمة على دعوتهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد أمرنا النبي (صلي الله عليه وسلم) بمعاملة الآخر؛ ولو كان مخالفاً لنا في العقيدة بحسن الخلق وطيب المعشر، تجسيداً لقوله تعالى: {لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ ولَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ}[الممتحنة: ٨]. أي لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين، (أَن تَبَرُّوهُمْ) أي: تحسنوا إليهم (وتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ) أي: تعدلوا [١]، على سبيل التلطف بهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة.

وتتأكد المعاملة الحسنة مع الأقارب غير المسلمين؛ إذ القرابة الأسرية وصلة الرحم مع المخالف في العقيدة قد تصل إلى الوجوب كالمعاملة مع الوالدين. فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: ((قدمت علي أمي وهي مشركة، فقلت: يا رسول الله إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها قال: نعم صليها))[٢].

لا شك أن صلة الأرحام واجبة من منطلق الرحمة النبوية، ولا تقف العقيدة عائقاً في تمتين العلاقات الأسرية، ما لم تكن صلة في معصية الخالق، مصداقاً لقوله تعالى: {وإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا واتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [لقمان: ١٥].

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ج٨، ص ٩٠.

(٢) البخاري، كتاب، الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب، الهدية للمشركين، حديث رقم: ٣١٨٣، ج ٤، ص١٠٣.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أته قال: ((قيل: يا رسول الله! ادع على المشركين. قال: إني لم أبعث لعانا. وإنما بعثت رحمة))[١].

وعنه رضي الله عنه قال: ((قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه، على النبي (صلي الله عليه وسلم) فقالوا: يا رسول الله، إن دوسا عصت وأبت، فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس، قال: اللهم اهد دوساً وأت بهم))[٢].

ويروي جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنهم قالوا: ((يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف، فادع الله عليهم. فقال: اللهم اهد ثقيفا))[٣].

ومن أجمل صور رحمته (صلي الله عليه وسلم) أنه لم يدع على المشركين بالشر، لأن دعوته رحمة للعالمين: وإصرار بعض صحابته على الدعاء على المشركين مناف لأخلاقه الشريفة، برغم ضخامة عدوانهم، وشراسة أفعالهم.

وقد حذر النبي (صلي الله عليه وسلم) من دعاء المظلوم ولو كان كافراً، فعن أبي عبدالله الأسدي قال سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): ((دعوة المظلوم وإن كان كافرا ليس دونها حجاب))[٤]. فما بالك بدعوة المظلوم المسلم المؤمن؟.

---

(١) مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، حديث رقم: ٢٥٩٩ ،ج٤، ص ٢٠٠٦.

(٢) البخاري، كتاب، الجهاد والسير، باب، الدعاء للمشركين بالهدى لتأليفهم، حديث رقم: ٢٩٣٧ ج ٤،ص٤٥.

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق، أحمد محمد شاكر وآخرون، الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب، المناقب، باب، في ثقيف وبني حنيفة، حديث رقم: ٣٩٤٢، ج٥، ص ٧٢٩، قال الترمذي رحمه الله: حديث حسن غريب.

(٤) أحمد، حديث رقم: ١٢٥٤٩،ج ٢٠؛ ص٢٢ قال الهيثمي: ((فيه أبو عبدالله الأسدي، لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح)). أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

إن سهام الليل لا تخطئ ولو كانت من كافر، لأن حرقة المظلوم تخترق الحجب، فيستجاب للمظلوم ولو بعد حين، فالدعوة بغض النظر عن عقيدة صاحبها مستجابة، إذا استوفت شروط الدعاء ونبعت من قلب مكلوم مقهور.

المطلب الثاني

حرمة قتل الكافر الآمن على دمه

ها هو ذا (صلي الله عليه وسلم) يجير ما أجارت أم هانئ. فعن أبي مرة مولى أم هانئ بنت أبي طالب أنه سمع أم هانئ بنت أبي طالب تقول: ((ذهبت إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عام الفتح، فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره، قالت: فسلمت عليه، فقال: من هذه. فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب، فقال: مرحباً بأم هانئ، فلما فرغ من غسله، قام فصلى ثماني ركعات، ملتحفاً في ثوب واحد، فلما انصرف، قلت: يا رسول الله، زعم ابن أمي، أنه قاتل رجلاً قد أجرته، فلان ابن هبيرة، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ))[1]. وعن عمرو بن الحمق رضي الله عنه قال سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول: ((أيما رجل أمن رجلاً على دمه ثم قتله فأنا من القاتل بريء وإن كان المقتول كافراً))[2].

فتوفير الأمان والسلامة من تجليات رحمته (صلي الله عليه وسلم)؛ ذلك أن توفير البيئة الآمنة تجسيد لقيم الطمأنينة، والاستقرار النفسي، والإخلال بمقتضيات البيئة المطمئنة هدر

تحقيق، حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ج١٠، ص١٠٢، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(١) البخاري، كتاب، الصلاة، باب، الصلاة في الثوب الواحد ملتحفاً به، حديث رقم: ٣٥٧،ج١، ص ٨١.

(٢) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، باب الجنايات، كتاب ذكر الزجر عن قتل المرء من أمنه على دمه، حديث رقم: ٥٩٨٢، ج١٣، ص ٣٢٠، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط، إسناده حسن.

لكرامة الإنسان وخدش لوجه العقة والأمان، فقد تبرأ النبي (صلي الله عليه وسلم) من القاتل الذي استؤمن على أمن الكافر، لأن قتله تجاوز لحرمة الأمانة وشرفها.

المطلب الثالث

وجوب صلة الأرحام ودعوتهم

لقد حرص الإسلام على احترام الاخرين بغض النظر عن دياناتهم وميولاتهم بالمطلق؛ تصديقاً لقوله (صلي الله عليه وسلم): ((خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره))[1]. فالحديث يشمل كل صاحب وكل جار حتى لو لم يكن مسلماً. فكان تعامل النبي (صلي الله عليه وسلم) مع من لم يتبعوه بتسامح قل نظيره، فلم يكره أحداً على الدخول في دين الله لا إكراه في الدين، كما أخبر الله جل وعلا في كتابه العزيز: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة:٢٥٦]. بل إن الله جل وعلا نهاه (صلي الله عليه وسلم) عن إكراه الناس للدخول في دين الله، قال جل وعلا: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ} [المؤمنون: ٩٩]. إلا أنه (صلي الله عليه وسلم) ومن عظيم رحمته ونبله وشرفه كان حريصا كل الحرص على دخول الناس كافة في دين الله، وخاصة أهل بيته.

فقد حرص (صلي الله عليه وسلم) أشد الحرص على هداية عمه أبي طالب حين حضرته الوفاة؛ إذ أراد منه أن ينطق بالشهادتين، وكان أشياخ الكفر عند رأسه يصدونه ويقولون: أترغب عن ملة عبدالمطلب؟، والنبي (صلي الله عليه وسلم) يقول: يا عم قل لا إله

(١) أحمد، حديث رقم ٦٥٦٦، ج١١، ص ١٢٦، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال الشيخ شعيب الأرناؤوط، إسناده قوي على شرط مسلم، و ابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب، البر والإحسان، باب، ذكر البيان بأن خير الجيران عند الله من كان خيراً لجاره في الدنيا، حديث رقم : ٥١٨، ج٢، ص ٢٧٦.

إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله. وهم يكررون قولهم عليه حتى مات ولم ينطق بها. فحزن (صلي الله عليه وسلم) حزناً شديداً رحمة بعمه الذي آواه ونصره ورباه [١].

لا شك أن القرابة الأسرية محركة للعطف الإنساني والرحمة البشرية، فقد تألم النبي (صلي الله عليه وسلم)، لوفاة عمه دون أن يسلم، وهو الذي آزره وشد عضده في الدعوة؛ فرأى النبي (صلي الله عليه وسلم) من منطلق رحمته أن يرد جميل عمه بالشفاعة له يوم القيامة، إلا أن الإكراه النفسي والضغط القبلي حال دون إسلامه.

المطلب الرابع

تعامله (صلي الله عليه وسلم) مالياً مع الكفار

وفي باب الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب، روي عن عبدالرحمن ابن أبى بكر رضي الله عنه قال : ((كنا مع النبي (صلي الله عليه وسلم) ثم جاء رجل مشرك مشعان طويل بغنم يسوقها فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) بيعاً أم عطية أو قال: أم هبة؟ فقال: لا. بيع، فاشترى منه شاة))[٢].

لقد امتدت رحمته الواسعة (صلي الله عليه وسلم) إلى مجال المعاملات المالية والتجارية، فلم ير غضاضه في التعامل مع المشركين؛ بل امتدت رحمته إلى الاستعانة بعلومهم الدنيوية؛

(١) انظر الحديث عبد البخاري، كتاب، مناقب الأنصار، باب، قصة أبي طالب، حديث رقم: ٣٨٨٤، ج ٥، ص ٥١، عن ابن المسيب عن أبيه أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي (صلي الله عليه وسلم) وعنده أبو جهل فقال: أي عم قل لا إله إلا الله كلمه أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به على ملة عبد المطلب فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) لأستغفرن لك ما لم أنه عنه فنزلت {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ والَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ولَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ}[التوبة: ١١٣]، {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص: ٥٦].

(٢) البخاري، كتاب، البيوع، باب، الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب، حديث رقم: ٢٢١٦،ج٣، ص ٨٠.

فلم يجد حرجاً في التذرع بمرشد طريق وهو من كفار قريش؛ ذلك أن الإسلام يتسامح في أن يتلقى المسلم من غير المسلم ما ينفعه في جميع العلوم الدنيوية كعلم الكيمياء، والفيزياء، والفلك، والطب، والصناعة، والزراعة، والإدارة، وغيرها.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((استأجر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأبو بكر رجلاً من بنى الديل هادياً خريتاً وهو على دين كفار قريش، فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليالي براحلتيهما صبح ثلاث))[1].

وبذلك يتضح لنا من خلال رحمته (صلي الله عليه وسلم) عظم هذا الدين مع غير المسلمين، فالرحمة رأس كل فضيلة. وإن ديننا يأمرنا بالرحمة حتى مع أعدائنا؛ بل وينهانا عن الاعتداء عليهم أكثر متا اعتدوا به علينا. فبهذه الأخلاق والآداب والرحمة يعامل المسلمون غير المسلمين.

(١) المصدر السابق، كتاب، الإجارة، باب، إذا استأجر أجينا ليعمل له بعد ثلاثة أيام أو بعد شهر أو بعد سنة، وهما على شرطهما الذي اشترطاه إذا جاء الأجل، حديث رقم: ٢٢٦٤، ج ٣، ص٨٩.

المبحث الثالث

رحمته بالمنافقين

المطلب الأول

حكمته (صلى الله عليه وسلم) في التعامل مع المنافقين وحنكته في تجفيف فتنهم

يكفينا أن نذكر في هذا المجال قصته (صلى الله عليه وسلم) مع زعيم المنافقين عبدالله بن سلول.

ففي العودة من غزوة بني المصطلق كما يروي جابر بن عبدالله رضي الله عنه: ((كنا مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجري: يا للمهاجرين فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ما بال دعوى الجاهلية؟ قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال: دعوها فإنها منتنة، يقول جابر رضي الله عنه فسمعها عبدالله بن أبي فقال قد فعلوها والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال: دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه))[1].

إن من أشرف غايات الرحمة النبوية أنه حارب النعرات القبلية، والطائفية، ولم يسمح لأبي ابن أبي سلول أن يفرق بين المهاجرين والأنصار، وقد هم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقتله، إلا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) سن سنة حميدة في التعامل مع المنافقين، من منطلق تشريف مقام النبوية وحرصه على عدم قتل أصحابه.

---

(١) البخاري، كتاب، المغازي، باب، قوله: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [المنافقون: ٦]، حديث رقم: ٤٩٠٥، ج ٦، ص ١٥٤.

المطلب الثاني

دعوته للمنافقين واستغفاره لهم

كان لموت رأس النفاق آية من آيات رحمته (صلي الله عليه وسلم) بهم، حيث أعطى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) رداءه لعبد الله بن أبي ابن سلول زعيم النفاق؛ ليكفن فيه، وصلى عليه؛ وأبعد من ذلك أنه استغفر له؛ كما روي ذلك عن الصحابي عمر رضي الله عنه: ((لما توفي عبدالله بن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله بن عبدالله إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله (صلي الله عليه وسلم)- فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه، وقد نهاك الله أن تصلي عليه؛ فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): إنما خيرني الله. فقال: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة وسأزيده على سبعين، قال؛ إنه منافق فصلى عليه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأنزل الله عز وجل {ولا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ولا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ ومَاتُوا وهُمْ فَاسِقُونَ} [التوبة:٨٤]))[1].

وأورد الفخر الرازي: ((أنه لما كان عبدالله بن أبي ابن سلول مريضاً عاده رسول الله فطلب منه أن يصلي عليه إذا مات ويقوم على قبره. ثم إنه أرسل إلى الرسول عليه السلام يطلب منه قميصه ليكفن فيه، فأرسل إليه القميص الفوقاني فرده وطلب منه الذي يلي جسده ليكفن فيه فقال عمر رضي الله عنه: لم تعطي قميصك الرجس النجس؟ فقال عليه

(١) البخاري، كتاب، تفسير القرآن، باب { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوة:٨٠]، حديث رقم: ١٣٦٦، ج٢، ص ٩٧.

السلام إن قميصي لا يغني عنه من الله شيئاً فلعل الله يدخل به ألفاً في الإسلام، وكان المنافقون لا يفارقون عبدالله. فلما رأوه يطلب هذا القميص ويرجو أن ينفعه أسلم منهم يومئذ ألف، فلما مات جاءه ابنه يعرفه فقال عليه السلام لابنه صل عليه وادفنه. فقال: إن لم تصل عليه يا رسول الله لم يصل عليه مسلم. فقام عليه السلام ليصلي عليه، فقام عمر فحال بين رسول الله وبين القبلة لئلا يصلي عليه فنزل قوله تعالى: {ولا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ولا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ ومَاتُوا وهُمْ فَاسِقُونَ} [التوبة:٨٤][(١)].

لقد بلغ النبي (صلي الله عليه وسلم) مبلغاً راقياً في دعوته للمنافقين واستغفاره لهم؛ لدرجة أنه ألبس ثوبه الشريف لعبدالله بن أبي ابن سلول ليكفن فيه، وصلى عليه رحمة به، وشفقة: ومن ثم ورد نص قرآني ينهاه عن الصلاة على المنافقين. إن الحكمة من رحمة النبي (صلي الله عليه وسلم) بالمنافقين لا يمكن أن تفهم من باب التقرب إليهم، وإنما من منطلق ترسيخ ثقافة الرحمة وتثبيتها في نفوس المنافقين، ويشهد على ذلك إسلام ألف من أتباع ابن سلول، لما رأوه من حادثة تكفينه له (صلي الله عليه وسلم) بقميصه الشريف الطاهر. وبهذا الاعتبار أراد (صلي الله عليه وسلم) لهم الخير؛ لكتهم رفضوه، ورام بهم رحمة الله، لكنه لا يملك إلا أن يستغفر لهم حتى جاء النهي عن ذلك؛ فتوقف (صلي الله عليه وسلم) طاعة لله تعالى، ولو أذن له لاستمر يدعو لهم ويستغفر.

(١) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، مفاتيح الغيب من القرآن الكريم، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ج١٦، ص١٢١.

المبحث الرابع

رحمته بالأسرى

المطلب الأول

عتق النبي (صلى الله عليه وسلم) للأسرى

من أشرف صور الرحمة رحمته (صلي الله عليه وسلم) بأسرى بدر؛ فقد اختار (صلي الله عليه وسلم) رأي أبي بكر بأن يعاملهم بالحسنى وأن يقبل منهم الفداء وأعرض عن رأي عمر الذي كان يرى قتلهم حتي يهابه المشركون. فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث طويل منه قوله: ((...فلما كانوا يومئذ التقوا فهزم الله المشركين، فقتل منهم سبعون رجلاً، وأسر منهم سبعون رجلاً، فاستشار رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أبا بكر وعمر وعلياً، فقال أبو بكر: يا رسول الله، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم)؛ ما ترى يا ابن الخطاب؟ قال؛ قلت؛ والله ما أرى ما رأى أبوبكر، ولكني أرى أن تمتكني من فلان –قريب لعمر– فأضرب عنقه، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وقادتهم وأئمتهم. قال: فهوى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، وأخذ منهم الفداء ثم إن القرآن نزل بعد ذلك مؤيداً رأي عمر ومعاتباً النبي (صلي الله عليه وسلم)))[1]. دل الحديث على وجوب الشورى في إدارة الأمور المشتركة بمقتضى الحكمة. فقد أخذ النبي (صلي الله عليه وسلم) برأي أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو رأي في منتهى الحكمة والرشاد، ومفاده أن

(١) أحمد، حديث رقم: ٢٢١، ج١، ص ٣٤٥ – ٣٤٦، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط، إسناده حسن، رجاله رجال الصحيح.

الفدية تقوية لصفوف المسلمين، وشد لظهرهم، وهداية لهم؛ بيد أن رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يضرب عنق المشركين، من منطلق الصرامة والحزم، لأنهم أئمة الكفر والشرك، وبهذا الرأي نطق القرآن الكريم، معاتباً النبي (صلي الله عليه وسلم). امتثالاً لقوله تعالى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا واللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [الأنفال:٦٧-٦٨].

وفي العام السادس من شهر ذي القعدة، عندما أقام النبي (صلي الله عليه وسلم) في الحديبية وقبل إبرام الصلح مع مشركي قريش، حاول ثمانون رجلاً متسلحين قتل النبي (صلي الله عليه وسلم) ؛ فقد ورد عن أنس رضي الله عنه: ((أن ثمانين هبطوا على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الصبح وهم يريدون أن يقتلوه فأخذوا أخدا فأعتقهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأنزل الله: {وهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا} [الفتح: ٢٤]))[(١)].

كما أعطى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كسوة ونفقة لسفانة بنت حاتم الطائي عندما وقعت أسيرة في أيدي المسلمين، بل حملها حتى خرجت مع بعض أناس من قومها [(٢)].

ولما وقع ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة أسيراً؛ ربطه الصحابة في سارية بالمسجد النبوي، ولكن النبي (صلي الله عليه وسلم) أطلقه فأسلم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه

(١) الترمذي، كتاب، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الفتح، حديث رقم: ٣٢٦٤، ج٥، ص ٣٨٦، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) انظر: أبا نعيم، أحمد بن عبدالله أبو نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة، تحقيق، عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ج٦، ص٣٣٦٢.

قال:)) بعث النبي (صلي الله عليه وسلم) خيلا قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال: ما عندك يا ثمامة. فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال، فسل منه ما شئت. فترك حتى كان الغد، فقال: ما عندك يا ثمامة. فقال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: ما عندك يا ثمامة فقال: عندي ما قلت لك فقال: أطلقوا ثمامة. فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب دين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني، وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت، قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، ولا والله، لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي (صلي الله عليه وسلم)))[1].

ولعل في معاملة النبي (صلي الله عليه وسلم) لثمامة ما يزكي مسلكه النبوي الشريف في التعامل مع الأسرى؛ إذ أطلق سراحه ولم يصبه بأذى، فأثر ذلك في نفسيته فأسلم، وتغيرت نظرته إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) بعد أن امتلأ قلبه بالإيمان، فأزالت رحمته

(١) البخاري، كتاب، المغازي، باب، وفد بني حنيفة وحديث ثمالة بن أثال، حديث رقم: ٤٣٧٢ ،ج ٥ ، ص ١٧٠.

(صلي الله عليه وسلم) عن ثمامة غشاوة الشرك، وألبسته ثوب المحبة والسكينة، فغدا النبي (صلي الله عليه وسلم) من أحب الناس إلي قلبه.

ولا ننس كلمته الشهيرة (صلي الله عليه وسلم): يوم فتح مكة ((اذهبوا فأنتم الطلقاء))[1].

فعتق النبي (صلي الله عليه وسلم) للأسرى تجسيد لمقام الرحمة المحمدية، وترسيخ لمبدأ حسن المعاملة في الإسلام.

المطلب الثاني

حسن معاملة النبي (صلي الله عليه وسلم) للأسرى

كان النبي (صلي الله عليه وسلم) يوصي أصحابه بالأسرى عموماً، وها هو أحد الأسرى يحدثنا عن عظيم امتثال الصحابة رضي الله عنهم لهذه الوصية، والحق ما شهدت به الأعداء. يقول أبوعزيز بن عمير وهو أحد الأسرى: ((كنت في نفر من الأنصار وقد قدموا

(١) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب، جماع أبواب السير، باب، فتح مكة حرسها الله تعالى، حديث رقم: ١٨٧٣٩، ج٩، ص ١١٨، عن القاسم بن سلام بن مسكين عن أبيه قال: ثم أتي الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فقال: ما تقولون وما تظنون. قالوا: نقول ابن أخ وابن عم حليم رحيم، قال قالوا ذلك ثلاثاً فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين. قال فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الإسلام أخبرناه، أبو بكر بن المؤمل أخبرنا أبو سعيد الرازي حدثنا محمد بن أيوب أخبرنا القاسم بن سلام فذكره. وفيما حكي الشافعي عن أبي يوسف في هذه القصة أنه قال لهم حين اجتمعوا في المسجد: ((ما ترون أني صانع بكم قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء))، قلت: وهذا الإسناد رجاله ثقات.

بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم أو عشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بنا)).[1]

من الشهادات التاريخية الخالدة لأسرى بدر، ما ذكره الأسير أبو عزيز بن عمير من حسن معاشرة الانصار له، وتفضيلهم له، من خلال تقديم غنائهم، وعشائهم، واكتفائهم بالتمر، امتثالاً لوصية النبي (صلي الله عليه وسلم).

ولعل من أنبل صور رحمته (صلي الله عليه وسلم) بأسرى بني قريظة، أنه أشفق عليهم من حر الهجير على الرغم من عظم خبثهم ومكرهم، إلا أنه إكراماً لهم، ورأفة بهم أمر بنقلهم من حرارة البيئة القاتلة إلى بيئة باردة؛ مراعاة لحقوق الإنسان وآدمية البشر؛ وفي هذا السياق قال لأصحابه: ((لا تجمعوا عليهم حر هذا اليوم وحر السلاح، قيلوهم حتى يبردوا))[2].

المطلب الثالث

نهي النبي (صلي الله عليه وسلم) أصحابه عدم التمثيل بالأسرى

لقد كان رحيماً (صلي الله عليه وسلم)، حتى بمن كان يناصبه العداء بالسيف واللسان معا؛ فها هو سهيل بن عمرو رضي الله عنه وقد كان مشركاً يوم بدر؛ إذ وقع أسيراً، وكان خطيباً من خطباء المشركين يحرض الناس على النبي (صلي الله عليه وسلم)، ويتكلم فيه بسوء

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق، حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م، كتاب، مسند من يعرف بالكنى، باب، من يكنى أبو عزيز بن عمير بن هشام أخو مصعب بن عمير له حديث في غزوة بدر في ذكر الأسرى، حديث رقم: ٩٧٧ ، ج ٢٢، ص ٣٩٣. وإسناده حسن، وحسنه الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد تحقيق، حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤، ج٦، ص٨٦. برقم (١٠٠٠٧).

(٢) الزحيلي، وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، دار الفكر، ٢٠١٢م، ص ٤١٤.

قال عمر: يا رسول الله انزع ثنيته يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبدا، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لا أمثل فيمثل الله بي، وإن كنت نبياً ولعله يقوم مقاماً لا تكرهه))[1].

إن رحمة النبي (صلي الله عليه وسلم) بالأسرى منعته من التمثيل بهم؛ فقد كان سهيل بن عمرو من أشد خطباء المشركين ايذاء ًللنبي (صلي الله عليه وسلم) إلا أن رأفته به، والشفقة عليه قد تحول لسانه الذرب السليط إلى منطق البيان الفصيح الذي يذود عن الأمة الإسلامية. فالتمثيل بالأسرى هدر لكرامتهم وسلب لأدميتهم. وحري ببعض الفرق والطوائف الضالة المنحرفة في عصرنا أن تقتدي بالرحمة المحمدية في التعامل مع الأسرى من منطلقات شرعية إنسانية بمعزل عن التمثل والتشهير، الذي ينافي قداسة المسلم وحرمته ونبله وشرفه.

(١) ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، حديث رقم ٣٦٧٣٩،ج، ٧، ص ٣٦٥، قال الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف الزيلعي، تحقيق، محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، باب التمتع، ج٣، ص ١٢٠، حديث مرسل، وأخرجه الحاكم، أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق، مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، حديث رقم: ٥٢٢٨، ج٣، ص ٣١٨،، حدثني علي بن عيسى، ثنا إبراهيم بن أبي طالب، ثنا ابن أبي عمر، ثنا سفيان، عن عمرو. عن الحسن بن محمد، قال: قال عمر للنبي (صلي الله عليه وسلم): يا رسول الله، دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو فلا يقوم خطيباً في قومه أبداً، فقال: "دعه فلعله أن يسرك يوماً" قال سفيان: فلما مات النبي (صلي الله عليه وسلم) نفر أهل مكة فقام سهيل بن عمرو عند الكعبة، فقال: من كان محمد (صلي الله عليه وسلم) إلهه فإن محمد قد مات، والله حي لا يموت، سكت عنه الذهبي في التلخيص، ٥٢٢٨؛ وصفحه الحاكم. انظر، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق، محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، حديث رقم: ٣٧٨٩٤، ج١٤، ص ٣٨٧، حديث عبد الرحيم. عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن عمرو، عن عطاء. انظر: كتاب أبي نعيم. معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٣٢٤.

الخاتمة

إن قراءة موضوعية لموضوع الرحمة في الإسلام تبين بجلاء أن الهدي النبوي لامس عمق الرأفة الإنسانية وجوهرها وحقيقتها. ولعل من تجليات هذه الملامسة المستفيضة، معاملته لمختلف الشرائح البشرية، واجتهاده في تجسيد قيم الفضيلة الخلقية، والإنسانية من منظور الرحمة. واجمالاً يمكن تدوين النتائج الآتية:

١. تعددت معالجة النبي (صلي الله عليه وسلم) لموضوع الرحمة بتعدد مظاهرها وتجلياتها.

٢. ضرورة توسيع النظر في استخراج الأحاديث الصحيحة إلي تضمنت موقف النبي (صلي الله عليه وسلم) من رحمته بالمخالفين.

٣. ترسيخ قيم الرحمة، وتوطينها، وتجسيدها في واقع الأمم والشعوب.

٤. مارس النبي (صلي الله عليه وسلم) مبادئ الرحمة وطبقها تطبيقاً عملياً في واقع المخالفين وغيرهم.

٥. مسلك الرحمة النبوية مسلك حيوي فاعل ومؤثر، وتتجلى حيويته في إقناع المخالفين واستمالتهم.

التوصيات:

تؤكد المقاربة العلمية الموجزة في موضوع رحمة المصطفى (صلي الله عليه وسلم) بأمته وغيرهم من المخالفين على جملة من التوصيات، إلي نوجزها في النقاط الآتية:

١. دراسة الأحاديث النبوية الصحيحة ذات الصلة بموضوع الرحمة دراسة شاملة لاستخلاص مبادئ الرحمة وضوابطها وآلياتها.

٢. ضرورة تفعيل الاحاديث الواردة في باب الرحمة المحمدية، وتجسيدها محلياً وإقليمياً وعالمياً.

٣. استثمار مبادئ الرحمة المحمدية يفضي إلى تجفيف منابع التطرف والغلو والإرهاب.

٤. الاقتداء بالسنة النبوية في تعامله مع الأسرى والمخالفين يقدم نموذجاً عالمياً يحتذى في محاصرة سوء فهم بعض الفرق الضالة والمنحرفة في معاملتهم للأسرى معاملة غير إنسانية بمعزل عن الكتاب والسنة.

٥. رحمته (صلي الله عليه وسلم) بالمخالفين في المعاملات التجارية، والاقتصادية، والمالية نموذج راقٍ يجسد فلسفة التسامح في أرقى أشكالها.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي.

٢. أحمد، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق، شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وسننه وأيامه، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، دلائل النبوة، تحقيق د . عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٥. البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة، الأولى ١٣٤٤هـ.

٦. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق، محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت. (د .ت).

٧. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق، أحمد محمد شاكر وآخرون، الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. (د .ت).

٨. الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف الزيلعي، نصب الراية لأحاديث الهداية، تحقيق، محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر. (د .ت).

٩. الحاكم، أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق، مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١-١٩٩٠م.

١٠. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي. بيروت. (د .ت).

١١. الزاني، فخر الذين محمد بن عمر التميمي الرازي، مفاتيح الغيب من القرآن الكريم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٢. الشامي، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (صلي الله عليه وسلم)، تحقيق، مصطفى عبدالواحد وآخرون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، جمهورية مصر العربية، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

١٣. الصلابي، علي محمد الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار المعرفة، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١٤. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق، حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم –الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

١٥. الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد تحقق، حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤.

١٦. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقق، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٧. أبو نعيم، أحمد بن عبدالله أبو نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة، تحقيق، عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٨. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق، محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.(د ت).

١٩. النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، المجتبى من السنن، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٢٠. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق، كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢١. ابن هشام، عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، السيرة النبوية، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل – بيروت. (د .ت).

٢٢. وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، دار الفكر – دمشق، ٢٠١٢م.